كيف يعالج علم النفس السياسي قضايا السياسة والحكم؟

عبير خليل (٠)

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى توضيح قيمة علم النفس السياسي، وما يمكن أن يسهم به من حلول في مواجهة قضايا السياسة والحكم عامة، وفي العالم العربي خاصة، وذلك من خلال إظهار هويته وملامحه العامة والكيفية التي يمكن أن تطوّع بها معارفه في المجال السياسي. استعرضت الورقة الأحداث التي أدت إلى نشأة علم النفس السياسي كما نشأ في الغرب، وكيف امتزج علم النفس بعلم السياسة ليكوِّنا معًا علماً متماسكاً ومتجدداً، كما استعرضت فروعَ علم النفس الملتحمة بعلم النفس السياسي مثل علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الشخصية وعلم النفس المعرفي وكلّ واحد من هذه العلوم له أدواته المتطورة، ثم اتخذت الورقة من حالة انعدام الاستقرار السياسي في بعض دول العالم العربي مثالاً لتطبيق معالجات علم النفس السياسي ومن ثم قدمت مقترحًا للحلول يحتوي على مسارات ثلاثة تشمل المتخصصين في علم النفس السياسي والأنظمة السياسية والمؤسسات التعليمية، وتحتوي عناصر الحل بشكل رئيس على رصد المعارف القائمة على تكامل العلوم في المستوى النظري، والتوظيف الرشيد للإعلام الحديث وطاقات الجمهور وإتاحة فرص المشاركة السياسية.

الكلمات المفتاحية: علم النفس السياسي، الكفاءة السياسية، الاستقرار السياسي

(□) أستاذ مشارك، قسم علم النفس، كلية الاداب، جامعة الخرطوم، للمراسلات في شأن هذا البحث ترسل abeerkhalilaor@yahoo.com

How Political Psychology Addresses Issues of Politics and Governance

Abeer khalil (*)

Abstract:

This paper aims to clarify the value of political psychology and the solutions it can contribute to addressing issues of politics and governance in general and in the Arab world in particular, by showing its identity, general features, and how its knowledge can be applied in the political field. The paper reviewed the events that led to the emergence of political psychology as it emerged in the West, and how psychology blended with political science to form a coherent and renewable science. The paper also reviewed the branches of psychology that are intertwined with political psychology, such as social psychology, personality psychology, and cognitive psychology, each of which has its own advanced tools. The paper then took the state of political instability in some Arab countries as an example for applying political psychology treatments, and then presented a solution proposal that includes three tracks that include specialists in political psychology, political systems, and educational institutions. The solution elements mainly include monitoring knowledge based on the integration of sciences at the theoretical level, the rational use of modern media and public energies, and providing opportunities for political participation.

Keywords: Political psychology, political competence, political stability

(*)Assistant Professor of Psychology, Department of Psychology, Faculty of Arts, Khartoum University

مقدمة:

يهتم علم النفس بدراسة السلوك الإنساني وما يقف وراءه من نشاط ذهني يشمل العمليات العقلية والعوامل الوجدانية، وذلك في أيّ ميدان يرتاده الإنسان، وغايته الإسهام في تحقيق الرفاه النفسي والعيش الآمن المطمئن للإنسان، لذلك فإن السلوك الإنساني الفردي، والسلوك الإنساني وسط المجموعات بمختلف أشكالها، يشكلان معًا دائرة اهتمام علم النفس، وبناءً على ذلك تكونت فروع علم النفس المتعددة مشكِّلةً علماً مترامي الأطراف، وعلم النفس السياسي أحد الفروع المهمة التي ظهرت مع تطور علم النفس الذي كان وما زال يسير بخطى متسارعة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويهتم علم النفس السياسي بفهم السلوك الإنساني في ميدان السياسة، إذ نتج عن تزاوج فكري بين معارف علم السياسة ومعارف علم النفس بمبادرة من عالم السياسة الشهير شارلس ميريام Charles Merriam ضمن مقال مؤثر حول أهمية علم النفس لعلم السياسة نشر في مجلة (Political Review) في العام ١٩٢٤م.

إنّ التحام علم السياسة مع علم النفس قد يحقق قدراً من الفهم للأداء السياسي للحاكم والمحكوم، وقد يجيب عن أسئلة كثيرة تدور حول الأسباب وراء أزمات الحكم التي سجّلها التاريخ والمشهودة في العصر الحالي، فما الذي يجعل الشعوب تكره حكامها وتثور عليهم وتزلزل عروشهم وتعارضهم وتتمرد عليهم، وما الذي يجعل شعوباً أخرى تخضع لحاكم ظالم عشرات السنين، وما الذي يجعل شخصاً ما يتحد مع جماعة سياسية دون غيرها ويتماهى معها ويتقمص هويتها، بينما آخرون يفضلون الإحجام عن المشاركة السياسية، وما الذي يجعل قائدًا ما ناجحاً وقادراً على تحقيق التغيير وإدارة دفّة الحكم، وآخر لا يستطيع أن يحقق أدنى مستويات الرعاية لشعبه، وما الذي يجعل حاكماً ما يحترم شعبه ويستجيب لمطالبه وآخر طاغية يزدري شعبه ولا يهتم إلا بإقامة السلطة وفرض القوة. وغير ذلك من التساؤلات والقضايا التي تشغل فكر

المجتمع الإنساني عمومه وخصوصه، التي يمكن أن يُعثر على إجابات لها من خلال دراسات الفرد ودراسة تفاعلاته مع الجماعات جنباً إلى جنب مع دراسة الأنظمة والعمليات السياسية. تحاول هذه الورقة تقديم اجابات للسؤال المتضمن في عنوانها وذلك في قسمين؛ يوضح الأول منهما هوية علم النفس السياسي كما نشأ في الغرب وتطور واتسع وتم توظيفه في خدمة المجتمع، أما القسم الثاني فيتم فيه طرح نموذج يتلمس طرق الحل ومواجهة التحديات في البلدان العربية بالوقوف على حالة انعدام الاستقرار السياسي في بعض البلدان العربية.

هوية علم النفس السياسي:

لتكوين تصوّر متكامل لعلم النفسي السياسي، فلا بدّ من الوقوف على تعريف علمي النفس والسياسة معاً، ثُمّ استعراض النشأة والتطور التاريخي لعلم النفس السياسي، والوقوف على أهم العلوم الأساسية المكونة له مثل علم النفس الاجتماعي، وعلم نفس الشخصية، وعلم النفس المعرفي.

أولاً: ما هو علم النفس؟

يعرف علم النفس اليوم بأنّه "علم دراسة العقل والسلوك"، العقل بما يحوي من معرفة وعمليات عقلية مثل الإدراك والذاكرة والتفكير وأنشطة وجدانية مثل العواطف والمشاعر والانفعالات، والسلوك بما يحوي من حركة ونشاط ظاهر يتصل بنشاط العقل. واستقرّت تنظيرات العلماء على هذه الحدود في موضوع علم النفس بعد استقلاله عن الفلسفة (APA, 2018)، وعلم الأحياء والطب على يد وليم فوندت ومن بعده وليم جيمس وسيغموند فرويد، قبل ذلك كان علم النفس عبارة عن معارف متجولة بين تلك العلوم.

أشار أندرو كولمان (Colman, 1999) إلى أنّ علم النفس كان يعرف بأنّه "العلم الذي يدرس طبيعة ووظائف وظواهر الروح أو العقل الانساني" حسب ما جاء في قاموس أكسفورد الانجليزي، وقد اعترض على هذا التعريف معظم علماء النفس لتضمين "الروح" باعتبارها ليست موضوع اهتمام علم

النفس، لذلك فإن التعريف الأوفق في رأيه أنّ علم النفس هو "علم دراسة طبيعة ووظائف وظواهر السلوك والخبرة العقلية"، وهو تعريف لا يخرج عن نطاق ما اتّفق عليه العلماء اليوم "علم دراسة العقل والسلوك". وعلم النفس كممارسة وتجربة علمية قديم قدم الإنسان، كما تشير المقولة المأثورة لعالم النفس هيرمان إبينجهاوس Herman Ebinghous علم النفس ذو ماض طويل وتاريخ قصير[١].

على الرغم من تطوُّر معارف علم النفس ورسوخها في كثير من أجزائه ومنفعتها في كثير من المجالات، فإن هناك من يرى أنَّ علم النفس ينطوي على مشكلات علمية تحول دون تماسكه كعلم، لذلك يصعب الاتفاق على تعريفه مثل كوش Koch الذي يرى أنَّ علم النفس غير موجود كعلم متماسك وإنما هو عبارة عن جمع من الدراسات collection of studies، أو كما وصفه شتات Staat بأنّه علم مرتقب [٢] (Henriques, 2004)، وهذا رأي يمكن وصفه بأنَّه بعيد من واقع علم النفس. في هذا الصدد يمكن الأخذ بما ذهب إليه زروق (٢٠٠٧) من أن (شرف العلم يعتمد على عاملين: ١- فائدة العلم وثمرته ٢- يقينية العلم ووثاقة أدلته)، ويمكن القول بأنَّ علم النفس اليوم توفر فيه العاملان، فقد أثبت علم النفس فوائده في مجالات عديدة من بينها التَّربية، والتَّعليم، والعمل، والإعلام، والمجال الاجتماعي على سبيل المثال، ومؤخراً عالم السياسة. ولا يُوجد أدنى شك في فائدته وثماره في مجال علاج الأمراض النفسية والعقلية. وعن الأدوات والتصاميم المنهجية التي تُجمع عبرها المعارف فهي تتمتع بموثوقية عالية؛ إذ إنَّها تخضع لمرجعية راسخة في علم النفس وهي علم القياس النفسي [٣] الذي يُعنى ببناء الأدوات والمقاييس وتطويرها، وكذلك طرق ومناهج البحث العلمي في علم النفس التي تُوظِّف الأساليب الحديثة في علم الإحصاء في تحليل البيانات.

1- long path short history
2- would be science
3- psychometrics

ثانياً: ما هو علم السياسة؟

لفظ السياسة في اللُّغة العربية يحمل عدة معانٍ متشابهة مرتبطة بالحكم والرعاية والإصلاح، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أنَّ الفعل "ساس" مصدره "سوْس"، بسكون الواو، ويعني الرياسة، وساس الأمر سياسةً؛ قام به، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، وسوَّسه (بتشديد الواو) القوم تعني جعلوه يسوسهم. والسياسة فعل السائس، ويقال يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيَّته، ويقال سوس فلان لفلان أمراً أي روَّضه وذلله.

يعرف علم السياسة في القواميس بأنَّه "علم دراسة المؤسَّسات السِّياسيَّة والمبادئ والأنظمة ومناهج الحكومات" (ويبستيرWebster). أوضح الشيب ويحيى (٢٠١٧) أنَّ كلمة politics مشتقة من كلمة polis وهي كلمة إغريقية الأصل وتعني كلّ ما له علاقة بالدولة خاصة الحكومة، وpolitike "علم شئون الدولة" (حامد، ٢٠١٩)، إذن فكل محاولة لتعريف السياسة لا بُدَّ أن تُشير إلى مفهوم الدولة، والدَّولة هي "وحدة جغرافية ذات حدود معروفة ومأهولة بالسكان وتتمتع بسلطة سيادية على هذه الوحدة" وقد عرَّف أرسطو الدولة بأنَّها "مجتمع سياسي بامتياز" وعَدَّ ذلك وصفاً "عضويًّا" لأنَّه يصور الدولة على أنَّها مكونة من أفراد أحياء بعكس التصور القديم الذي يُصور الدولة على أنها "آلة" لتحقيق الأهداف السياسية. وبذلك يكون أرسطو قد مهَّد إلى نقل التركيز من عناصر مجرَّدة جدًّا (الدولة كآلة) إلى العنصر الإنساني كمكون للدولة.

أشار الشيب ويحيى (٢٠١٧) إلى أنَّ علم السياسة لا يقتصر على مفهوم الدولة والحكومة التي تمثل جوهر الدولة، وإنَّما يشمل دراسة الأنظمة السياسية، أي طريقة الحكم، ونظام السلطة، وأشكال الحكومات، والقوى، والتأثيرات خلف كل مؤسسة اجتماعية محكومة بقواعد وقوانين محددة، مثل المؤسسات الدينية والاتحادات والشركات، لذلك فإنَّ السياسة بمفهومها الواسع معنية بالتفاعلات البشرية داخل المجتمعات. يُلاحَظ أنَّ العنصر الإنساني والنفسي تحديداً، كثيراً ما يكون متضمنا في التعريفات والمفاهيم السياسية، مثلاً،

حول مكونات "النظام السياسي" أشار الكاظم والعاني (١٩٩١) إلى أنَّ عناصر النِّظام السياسي هي: التنظيمات السياسية، والقواعد السياسية، والعلاقات السياسية، والوعي السياسي، فإذا اعتبرنا أنَّ عنصر "العلاقات السياسية" يحتوي ضمناً أو صراحةً على العلاقات الإنسانية وهي موضوع نفسي، فإنَّ عنصر "الوعي السياسي" موضوع نفسي بامتياز. وفي ذات السياق أورد الكاظم والعاني تعريف روبرت داهل Robert Dahl للنظام السياسي الذي ضَمَّن فيه بوضوح العنصر النفسي" النظام السياسي هو نمطٌ دائم من العلاقات الإنسانية ينطوي، إلى حد مهم، على قوة أو حكم وسلطة". ولعل من التطورات الظاهرة في علم السياسة الأطروحات المتنامية حول ضرورة الانتقال إلى استخدام طرق جديدة في المنهجية مثل استخدام الأساليب الكمية في دراسة السلوك السياسي، وظهر بذلك المدخل السلوكي في النظرية السياسية [1] (Leong & Howlett, 2022).

إنَّ علاقة علم النفس بعلم السياسة تبدو جليَّةً لا يخطئها الفكر حين يدور الحديث حول "فلسفة السياسة" والَّتي تُشكل جزءاً مهمًّا من علم السياسة، أشار حامد (٢٠١٩) إلى أنَّ:

"هناك فرق بين فلسفة السياسة وعلم السياسة، إذ تُعنى فلسفة السياسة بالقواعد النظرية والقضايا الأصولية والغايات الكبرى التي يجب على "الفاعل" السياسي أن يتجه نحوها، بينما علم السياسة يُعنى بوصف ما هو كائن من الأفعال السياسية والحقائق الموضوعية المتصلة بها". ولفت حامد الانتباه إلى أنَّ هناك نظاماً مشتركاً من القيم بين الدولة والمواطن، على الدَّولة أن تعمل على تحقيقه وعلى المواطن تمثله واستيعابه ليحقق المواطنة الصالحة في تلك الدولة، والأسئلة المطروحة من قِبل فلاسفة السياسة تدور حول هذا الأمر مثل "ما الصورة التي يجب أن يكون عليها النظام السياسي الصالح لكي يستطيع الإنسان أن يحيا حياةً طيبةً، وما السلوك الذي يجب أن يتحلَّى به الإنسان الفرد لكي نحصل على نظام سياسي صالح".

1- behavioralism

ولعلَّ القضايا الكبرى في العلوم السياسية المرتبطة بالأداء السياسي للحكومات والسلطات في مختلف صورها، الَّذي نجم عنه أحداث كارثية على مرِّ التاريخ، تُحتم على المهتمين والمنخرطين في السياسة التفكير بشكل جدي في استخدام علم النفس بكل أدواته ومعارفه فقد يُسهم في مواجهة أزمات الحكم والمواطنة الصالحة.

ثالثًا: ما هو علم النفس السياسي؟

وصفت الرابطة الأمريكية لعلم السياسة علم النفس بأنَّه من العلوم المتآلفة مع علم السياسة [1]، وهي مجموعة من العلوم رأت الرابطة –ممثلة في لجنة البحوث– أنَّها علوم تساعد في تحسين وسائل وطرق البحث في علم السياسة والمساهمة في تطويره (Merriam, 1924). ونتيجة لهذا التآلف نشأ علم النفس السياسي. وقد عَرَّفه جوست وسيدانيوس (Jost& Sidanius, 2004) بأنَّه "مجال فرعي دينامي يهتمُّ بدراسة الكيفية التي تؤثّر فيها المؤسسات السياسية في السلوك الإنساني وكذلك كيفية تأثّرها به". هذا التعريف يبدو أكثر عمقاً وشمولاً من التعريف الذي قدمه سيرز وزملاؤه (Sears et al., 2003) حيث عرَّفوه بأنَّه "تطبيق المعارف النفسية في دراسة السلوك السياسي مركزاً على الأفراد داخل الأنظمة السياسية". ورغم وضوح تعريف سيرز وزملائه، إلا أنَّه يركِّز على دور الفرد في السلوك السياسي دون الإشارة إلى تأثّر السلوك السياسي بالعوامل السياسية، ويستند علم النفس السياسي إلى مجموعةٍ من العلوم الاجتماعية بالإضافة لعلم النفس (خاصة علم النفس الاجتماعي والشخصية وعلم النفس المعرفي وكذلك علم نفس النمو) وعلم السياسة، ومن العلوم الاجتماعية علم الأجناس والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد.

تتعدَّد الظواهرُ التي يهتمُّ بدراستها علم النَّفس السياسي، إذْ يهتمّ بدراسة القيادة السياسية، واتِّخاذ القرار الفردي والجماعي في المواقف السياسية المختلفة، وتكوين المعارف والاتجاهات السياسية، والتنشئة السياسية، وتأثير

1- kindred sciences

الثقافة على السلوك السياسي والأنظمة السياسية، والسمات الشخصية للصَّفوة السياسية والمواطنين، وتأثير الشَّخصية في العلاقات الدولية، وتكوين الجماعات السياسية وتماسكها، والهوية الفردية والجماعية، والظواهر الطرفية في السلوك السياسي مثل التعصب والتطرف والعنف والعدوان والإرهاب والإبادة الجماعية، وكذلك الظواهر الاجتماعية السلبية وتأثيراتها السياسية مثل التحيُّز العنصري، والمحاباة الاجتماعية، والتمركّز والانغلاق القبلي، ويتسع المجال لأي ظاهرة تصف السلوك السياسي للأفراد والجماعات والحكومات والأنظمة السياسية بمختلف أنواعها ومستوياتها. تجدر الإشارة إلى أنَّ المراجع والكتب المتداولة بشكل رئيسي حول علم النفس السياسي، تختلف في المحتوى بدرجة عالية؛ نسبةً لتعدد وتنوع الموضوعات التي يهتم بها علم النفس السياسي، ولتعدد العلوم التي يستجلب منها علم النفس السياسي معارفه وأدواته.

على كلّ، فإنَّ علم النفس السياسي يصُب بكلياته وجزئياته في بحر علم النفس العام الذي يتمثل موضوعُه في دراسة السلوك وما يقف خلفه من العمليات العقلية والوجدانية. إذن السلوك السياسي وما يسبقه من معالجة ذهنية تتمثَّل في العمليات العقلية والوجدانية، تُشكل موضوع علم النفس السياسي. والسلوك السياسي حسبما تعرفه قواميس العلوم الاجتماعية، هو أي شكل "جماعي أو فردي" من أشكال المشاركة في العملية السياسية، أو أي نشاط له تبعات سياسية مرتبطة بالحكومة والسياسات. وهذا التعريف يشمل السلوك الطبيعي مثل التصويت والانضمام للمجموعات والحركات الاجتماعية، وكذلك السلوك غير الطبيعي مثل السلوك العنيف أو الإرهابي، كما يشمل أيضاً الإحجام عن المشاركة السياسية وبذلك فإن السلوك السياسي يعكس المواقف والاتجاهات السياسية للفرد، وبلا شك فإن السلوك السياسي مثله مثل أي سلوك يصدر عن الإنسان ناتج لعمليات داخلية مثل التفكير والانفعالات وغيرها، يتمُّ تنشيطها بواسطة عوامل خارجية.

وعلم النفس السياسي ذو طبيعة تطبيقية، لأنَّه يَمَسُّ حياة الإنسان بشكل

مباشر، بل إنَّ موضوعاته ذات طبيعة عاجلة، والمتخصِّصون فيه واجب عليهم الاستجابة لقضايا ومشكلات مؤثِّرة بشكل جوهري، مثل قضايا الإرهاب والعنف والصراعات العرقية والاجتماعية الأخرى (Hermann, 2002).

عرَّف ستون وزملاؤه (Stone et al, 2014) علم النفس السياسي بأنَّه "مجال حيوي للبحث يقدم مداخل وطرقاً تربط بين العلوم الاجتماعية وعلوم المعرفة". ويتمثَّل دور العلماء فيه في استكشاف التفاعلات بين المستويات الكلية المتمثلة في البنيات السياسية مثل الدولة والحكم والأنظمة السياسية [١]، والمستويات الجزئية [٢] المتمثلة في عمليات صناعة القرار، والدوافع، والإدراكات، وغيرها مما يتعلق بالأفراد والمجموعات كأطراف فاعلة في العملية السياسية، هذا التعريف تتمدَّد فيه حدود علم النفس السياسي؛ إذ يضعه في منطقة تتوسط علوم المعرفة الَّتي يشكل علم النفس جزءاً منها، والعلوم الاجتماعية التي يشكل علم السياسة أيضاً جزءاً منها.

أما غروزنيك وزملاؤه (Krosnick et al, 2010) فقد تضمَّن تعريفهم بعض العلوم الأساسية المكونة لعلم النفس السياسي، وتحديداً علم النفس الاجتماعي، مع الإشارة إلى الطبيعة المعرفية للسلوك السياسي، يقول التعريف (علم النفس السياسي مجال مزدهر من البحث العلمي الاجتماعي، إذ يهتم بدراسة الأساس المعرفي والاجتماعي وتبعات ممارسة السلوك الاجتماعي السلطوي وسلوك الحكومات).

أشار هاوتون (Houghton, 2009) إلى أنَّ علم النَّفس السياسي يشكِّل فعليًّا جزءاً لا يتجزأ من علم السياسة، مستدلاً بما تتضمَّنه دراسات العلاقات الدّولية التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات من التحليل هي:

١- **مستوى تحليل النظام (النظم):** ويدور حول أفعال الدَّولة وما إذا كانت تُقاد بقوتها أم بالنِّظام الدولي.

1- macrolevel
2- microlevel

٢- **مستوى الدولة:** ويدور حول الخصائص الداخلية للدَّولة ومدى أهميتها في تشكيل سلوكها الخارجي.

٣- **مستوى الفرد:** ويدور حول سيكولوجية القادة وما إذا كانوا يقودون السياسات الخارجية للدَّولة.

نبَّه دوتش وكينفال (Deutsch & Kinnval, 2002) إلى الاتِّجاه الأحادي في علم النفس السياسي الأمريكي، إذ ركَّز على دراسة تأثير الفرد والمجموعات في السياسة وأهمل دراسة تأثير العمليات السياسيَّة في الفرد. فمثلما تؤثر الإمكانيات المعرفية للأفراد في المجال الاجتماعي والسياسي، فإنَّ البنيات السياسية تؤثر في الإمكانيات المعرفية للفرد، فيجب الاهتمام بدراسة التفاعل بين الطرفين، الفرد والسياسة، وليس الاهتمام فقط بتأثير طرف واحد في الآخر؛ ليكون علم النفس السياسي ثنائي الاتجاه[1]، مثلاً تأثير الثقافة السياسية والتنشئة السياسية في تفكير الفرد، بينما سمَّى كروزنك وماكغرو (Krosnich&McGraw, 2002) المعارف التي تندرج تحت اسم علم النفس السياسي؛ "علم السياسة النفسي"، لغلبة التركيز على الاستفادة من المعارف النفسية في المجال السياسي. وقد رصد كروزنك وماكغرو عدداً من المراجع الأولية في علم النفس السياسي معظم كتابها من علماء السياسة، منها على سبيل المثال كتاب مارغريت هيرمان Margaret Hermann علم النفس السياسي: قضايا معاصرة ومشكلات، المنشور عام (١٩٨٩)، وقد شارك في كتابته عشرون كاتباً منهم عشرة من علماء السياسة وخمسة من علماء النفس، كذلك كتاب شانتو لينغر ووليام ماكغوير ShantoLyengar & William McGuire اكتشافات في علم النفس السياسي، الصادر عام (١٩٩٣)، شارك في كتابته تسعة من علماء السياسة وخمسة من علماء النفس، وكذلك الأمر بالنسبة للأنشطة العلمية الخاصة بعلم النفس السياسي في الجامعات الكبرى مثل جامعة أوهايو وجامعة ستانفورد، فإنَّ المشاركين فيها من علماء السياسة

1- bi-directional

أكبر عدداً من علماء النفس، حماس علماء السياسة للاستفادة من المعارف النفسية في مجال السياسة هذا، ساعد كثيراً في فهم العمليات السياسية مثل اتِّخاذ القرار السياسي وسلوك التصويت في الانتخابات، ولكنَّه لم يُضف شيئاً إلى علم النفس الذي يسعى إلى فهم العقل الإنساني، ويشير كروزنيك وماكغرو إلى أنَّ دراسة السلوك الإنساني في السياقات السياسية الَّتي هي محط تركيز علم النفس السياسي يجب أن تدفع علماء النفس إلى الخروج من المعامل ودراسة السلوك في ميدانه الحقيقي؛ حتى يتحقق التوازن في فهم الظواهر السياسية والنفسية في علم النفس السياسي ليكون علم النفس السياسي تسمية دقيقة true to its name لما يحتويه من معارف واتجاهات علمية. وقد شكَّك البعض في أهمية المستوى الفردي في دراسة العمليات السياسية، إلَّا أنَّ هذا التشكيك لا محلّ له حين نستوعب تمامًا أنَّ الفرد هو "اللَّاعب الأساسي" في تشكيل البنيات الكبرى كما يشير هاوتون (Houghton, 2009).

نشأة وتطور علم النفس السياسي:

علم النفس السياسي في شكله الحديث ذو منشأ غربي، نشأ وتطور على يد الأوروبيين والأمريكان. ويؤرَّخ للبداية الواضحة له منذ عشرينيات القرن الماضي حين دعا شارلس ميريام Charles E. Merriam الأستاذ بجامعة شيكاغو إلى تطوير علم السياسة استناداً إلى علم النفس، وقد أشار ميريام إلى أنَّ علم النفس "رفيق" لعلم السياسة منذ بداية التفكير السياسي في تأملات قدامى الفلاسفة. وقد استخلص ميريام من هذه التأملات المضامين النفسية التي يمكن أن تمثل جزءاً من أساس العلاقة بين علم النفس والسياسة، ومن ذلك نظرية أفلاطون السياسية التي تناول فيها العلاقة بين المكونات البيولوجية للإنسان (الرأس، والقلب، والبطن) والمكونات النفسية (الذكاء، والشجاعة، والاعتدال) وربط بينها وبين الطبقات العاملة في مجال السياسة مثل المسؤولين عن مهام الأمن والمحاربين والعمال، مشيراً إلى أنَّ العلاقة المتوازنة بين المكونات الفردية الثلاثة وبين الطبقات في المجتمع هي ما يحقق العدالة.

استعرض ميريام أيضاً تأملات فلاسفة عصر النهضة أمثال ميكافيلي، وجون لوك، وروسو، وهوبز، ووقف كثيراً على أفكار روسو حول الإرادة الَّتي قسمها روسو إلى إرادة فردية وإرادة رسمية وإرادة عامة، وقد عدَّ ميريام هذا التقسيم أساساً لاتّجاه دراسة سمات الشخصية في مجال السياسة (Merriam, 1924).

استجاب لنداء ميريام أحد تلامذته ويدعى هارولد لاسويل Harold D. Lasswell من خلال كتابات متّصلة، ومن خلال ممارسته للتدريس، إلى أن أصبح مؤسساً لعلم النفس السياسي في أمريكا، وعُرف بذلك وأُطلق عليه لقب الأب لعلم النفس السياسي في أمريكا. ومن كتاباته المبكرة كتابه حول الباثولوجيا النفسية والسياسة Psychopathology and politics، والصادر في العام ١٩٣٠، ثم في العام ١٩٣٥ صدر له كتاب السياسة العالمية وعدم الأمن الشخصي World Politics and Personal Insecurity وكذلك كتاب السياسة: من يأخذ ماذا، ومتى، وكيف؟ Politics: Who gets what, When, and how في العام ١٩٣٦، ثم كتاب السلطة والشخصية Power and personality في العام ١٩٤٨. ساعدت هذه المؤلفات في تأسيس منظور نفسي متكامل لفهم السلوك السياسي والسياسة والسياسيين؛ إذ ألقت الضوء على نطاق واسع من المكونات النفسية للفرد والعمليات الاجتماعية، فقد دارت حول الدافعية، والصراع، والإدراك، والمعرفة، والتعلم، والتنشئة، وتكوين الاتّجاهات، وديناميات الجماعة، والشخصية، والفرد، والاضطرابات النفسية (Morton & Kinnval, 2002).

وقد أورد هاوتون (Houghton, 2009) تتبعاً تاريخيًّا للتطور الذي حدث لعلم النفس السياسي منذ بداية ظهوره إلى تكوينه الحالي كنظام معرفي أكاديمي يدرس في المؤسسات التعليمية العليا، وقد أشار إلى أن الإسهامات المؤثرة في بناء هذا المجال الحديث من المعرفة، جاء بها الأوروبيون خاصة الفرنسيين في بدايات القرن التاسع عشر، إذ بدأ بعض المفكرين أمثال هيبوليت تاين Hippolyte Taine وغوستاف لوبونGustav Le Bon في صياغة

الاتّجاهات العلمية لعلم النفس السياسي، ثم جاء من بعدهما الإنجليزي، الأستاذ في مدرسة لندن للاقتصاد وعلم السياسة غراهام والاس Graham Wallace، ونشر كتابه حول الطبيعة الإنسانية في السياسة Human Nature in Politics في العام ١٩٠٨، الذي يؤهله في نظر هاوتون لأن يكون من كبار مؤسسي علم النفس السياسي، وقد نادى فيه بالاهتمام بتأثير العمليات اللاشعورية في السلوك السياسي وأن لا ينحصر الاهتمام حول الأساس العقلاني الفكري فقط، ثم تعرض هاوتون للدور الأعظم، كما وصفه، لعلماء النفس الأوربيين أمثال سيغموند فرويد Sigmond Freud وإيريك Erich Fromme، وما قدّموه من منهج وأدوات في التحليل النفسي.

أخذت ملامح وتفاصيل علم النفس السياسي تتضح شيئاً فشيئاً، بحيث يمكن تقسيم التطور التاريخي لهذا المجال الحديث نسبيًّا إلى حقب أو مراحل تاريخية، كالتقسيم الذي أجراه ماكغوير (McGuire, 2004) وهو كما يلي:

١- **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة دراسات الشخصية التي سادت قبل انقضاء النصف الأول من القرن العشرين (١٩٤٠) إلى(١٩٥٠) وقد غلب عليها مدخل التحليل النفسي.

٢- **المرحلة الثانية:** هي فترة دراسات الاتّجاهات السياسية وسلوك التصويت والانتخاب ما بين
(١٩٦٠) إلى (١٩٧٠) وتتميز بغلبة فرضية "الرجل العاقل" [1]

٣- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الأيدولوجيات وقد امتدت بين (1980) و(1990) وغلب عليها المنظور المعرفي إذ تركزت البحوث حول المعتقدات السياسية، واتّخاذ القرار على أساس معالجة المعلومات في تناولها للسياسة الدولية.

في أثناء المرحلة الثانية ظهرت أحداث مهمة ساعدت في تطور علم

1- rational man. assumption

النفس السياسي وهي إنشاء الجمعية العالمية لعلم النفس السياسي [١] وكان ذلك في العام ١٩٧٨ ثم أصدرت هذه الجمعية أول مجلة علمية محكمة في المجال في العام ١٩٧٩ (Deutsch & Kinnval, 2002).

أهمية علم النفس السياسي:

ما الذي يجعل علم النفس السياسي علماً مهمًّا؟ إنّ المعارف التي يقدمها علم النفس تساعد في فهم الكيفية التي يتعلّم ويفكّر بها الإنسان وكيف يتصرف في مواقف الحياة المختلفة والمتعددة، وكيف يتطور وينمو، وما الذي يدفع سلوكه، كما يساعد في فهم وتفسير الحالات المتغيرة للإنسان والأوجه المختلفة لسلوكه مع اختلاف السياقات البيئية، بينما يهتم علم السياسة بشكل أساسي بالحكم والمفاهيم المرتبطة به مثل الدولة والسلطة والقوة والمواطنة وكل هذه المفاهيم تدور في فلك العلاقة بين "الحاكم والمحكوم"، وهي علاقة ضرورية لانتظام الحياة. وقد تشعبت المعارف في المجالين، علم النفس وعلم السياسة لتحقيق أهدافهما، فنحن نجد أن علم النفس لم يحقق تطوراً حقيقيًّا في فهم السلوك والعقل الإنساني إلا بعد اتّصاله بالعلوم الحيوية مثل علم الأحياء والعلوم الاجتماعية مثل علم الإحصاء، وطبيعة علم النفس تداخلية [٢] تتطور معارفه بالتحامه مع علوم أخرى، وكذلك علم السياسة فإنّه يقوم أساساً على مجموعة من العلوم الاجتماعية، مثل علم الاجتماع وعلم الأجناس والتاريخ ولا يمكن فهم الظواهر السياسية دون اجتماع هذه العلوم.

في مقاله المهم حول أهمية علم النفس لعلم السياسة الذي يحمل ذات العنوان (The significance of psychology for the study of politics) رصد شارلس ميريام Charles Merriam في العام ١٩٢٤ التطور الذي حدث في علم النفس وكيف يمكن الاستفادة منه في تطوير علم السياسة خاصة مجال قياس القدرات، مشيراً إلى أهمية ربط الذكاء العام بالذكاء السياسي، وكذلك

1- The international society of political psychology ISPP
2- interdisciplinary

فائدة دراسات الشخصية وإمكانية إثرائها للمعرفة في مجال السياسة حتى يتم فهم الطبيعة الإنسانية في وجهها السياسي (Merriam, 1924).

وفي ذات السياق دعا هربرت سايمون Herbert Simon (١٩٨٥) إلى ضرورة التكامل بين علم النفس وعلم السياسة في مقال له بعنوان، "الطبيعة الإنسانية في السياسة: حوار علم النفس والسياسة" وهو عالم في الاقتصاد والعلوم السياسية، وقد نال جائزة نوبل عن أبحاثه في علم الاقتصاد، وفي ذات الوقت هو من رواد نظرية معالجة المعلومات في علم النفس المعرفي، وقد أكّد على أن أهمّ ما يمكن عمله في أجندة البحث في مجال السياسة هو تطويع أدوات ومناهج علم النفس لدراسة الطبيعة الإنسانية في مجال السياسة والاستفادة من الثورة المعرفية في علم النفس، وقد ساق بعض الأدلة على رأيه ومنها قصور وهشاشة العقل الإنساني في بعض عملياته الأساسية خاصة الضيق الحاد في سعة الانتباه عند الإنسان مقارنة بما يحيط به من مدركات، والانتباه عملية عقلية أولية تقوم عليها العمليات العقلية الأكثر تعقيداً مثل الذاكرة والتفكير، في الوقت الذي يعتمد فيه علماء الاقتصاد والسياسة في تفسير كثير من الظواهر على مبدأ الاختيار العقلاني الذي يشكل جزءاً من نظرية عقلانية الإنسان في الاقتصاد والسياسة، وكذلك قصور العقل الإنساني، حين يتّخذ القرارات عامة وحالة عدم التأكّد uncertainty التي تعتريه وهو يفكّر في اختيار البديل المناسب، وقد دعا سايمون إلى إخضاع هذه النظرية إلى التجريب استناداً على مناهج علم النفس في دراسة العقل الإنساني.

لخص روبرت لين وهو من علماء السياسة المعاصرين ومن أبرز المساهمين في دفع حركة علم النفس السياسي أهمية الاستعانة بعلم النفس في مجال السياسة بقوله: "على مدى العشرين عاماً المنصرمة، لم نتمكن من معرفة سوى قدر قليل عن المواقف السياسية لشخص ما من خلال التعرف على طبقته الاجتماعية ووظيفته وديانته وعرقه، فإذا لم تنجح المصالح والهويات الاجتماعية في توصيف الإنسان السياسي، تصبح سريعة الزوال وتقل

قدرتنا على التنبؤ بما يتعلق به. فحين تفشل الديموغرافيا، نلجأ إلى علم النفس" (Lane, 1959).

العلوم المكونة لعلم النفس السياسي:

أولاً: علم النفس الاجتماعي:

علم النفس الاجتماعي هو الدراسة العلمية لكيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، وكيف يفكرون للتأثير على بعضهم البعض، ويهتم علم النفس الاجتماعي بالقوة التي تعمل على دفع الأفراد للقيام بسلوك اجتماعي محدد، وهي مهمة ليست بالبسيطة، فالسلوك الاجتماعي معقد جداً، لكن بشكل عام فهم السلوك الاجتماعي يقوم على نموذج أولي وأساسي قدّمه كيرت ليفين lewin Kurt وهو من ذوي الريادة في علم النفس الاجتماعي، والنموذج قائم على المعادلة التالية: السلوك = الموقف الاجتماعي x الخصائص الفردية، وقد كوّن ليفين تصوّراته حول السلوك الانساني بناءً على تجاربه التي عاشها أثناء الحرب العالمية الأولى حيث كان من جنودها وأتيح له ملاحظة السلوك الاجتماعي في ميدان الحرب، حينها تغيّرت نظرته للعالم وخلص إلى أنّ إدراك الفرد للمواقف الاجتماعية يتأثّر بالمهمة التي يكون بصدد القيام بها، وأطلق على مزيج الموقف والحاجات الفردية مفهوم " المجال النفسي[١] (بوردينز وهورويتز Bordens and Horowitz,2008).

يحاول علم النفس الاجتماعي فهم السلوك الإنساني في السياقات الاجتماعية المختلفة، ويتطلب ذلك أن يخوض في عمق الفرد لذلك فهو يدرس "الذات" الاجتماعية[٢] بما تتضمنه من أبعاد مثل تقدير الذات، والتصور المتكامل للذات الممثل في" مفهوم" الذات، إذ إنّ إدراك الفرد لذاته ووعيه بها يمثل قوة دافعة تفسر كثيراً من صور تفاعل الفرد في المواقف الاجتماعية. وفي ذات الوقت يهتمّ علم النفس الاجتماعي بدراسة معرفة الفرد للمجال الاجتماعي

1- psychological field
2- social self

أو ما يسمى بالمعرفة الاجتماعية[١] ، فيدرس عبرها إدراك الفرد للمحيط الاجتماعي وكيفية فهمه للآخرين ومعالجته لخصائص المجموعات، مثل ما يحدث في ظاهرة القولبة أو التنميط[٢] ، إذ يقوم الفرد بتقييم الأفراد من خلال صورة نمطية مختزنة في الذاكرة للمجموعة التي ينتمون إليها.

من الموضوعات المركزية في علم النفس الاجتماعي، ظاهرة القيادة وكيفية تكوين الجماعات والعمليات التي تساعد على تماسكها واستمرارها أو انفراطها، وعوامل الجذب الاجتماعي[٣] ، وعملية الاتّحاد وتقمّص هوية الجماعة[٤] وما يُسمَّى بالتذويت أو الانصهار في الجماعة[٥] ، وهو ذوبان ذات الفرد في الذات الاجتماعية وهي درجة أعلى من الاتّحاد مع الجماعة، ويتصل بذلك تأثير الأغلبية على الأقلية أو العكس، وآليات التأثير الاجتماعي والتأثّر مثل الاقناع[٦] ، والمسايرة[٧] ، والطاعة[٨] ، والإذعان[٩] ، وعمليات التنشئة والتطبيع[١٠] وتكوين الاتّجاهات[١١] ، وكذلك الظواهر السلبية في مجملها مثل التمييز والمحاباة[١٢]، والعنف[١٣] والعدوان[١٤] والتطرف[١٥] والإرهاب[١٦] ونسبة لأنّ كلّ موقف سياسي هو موقف اجتماعي في المقام الأول فإن معظم إن لم يكن كلّ موضوعات علم النفس الاجتماعي تدخل في نطاق علم النفس السياسي.

1-social cognition
2- stereotyping
3- interpersonal attraction
4- Identification
5- internalization
6- persuasion
7- conformity
8- obedience
9- compliance
10- socialization
11- attitude formation
12- prejudice
13- violence
14- aggression
15- fanaticism
16- terrorism

ثانياً:علم نفس الشخصية:

يهتمّ علم نفس الشخصية بدراسة شخصية الإنسان كنظام يجمع كل الخصائص" المميزة" للفردعن الآخرين من خلال دراسة الفروق الفردية وأوجه الشبه بين الأفراد، ويدرس علماء نفس الشخصية تأثير العوامل البايولوجية والبيئية والثقافية على تكوين وتطور الشخصية عبر الزمان وعبر المراحل النمائية المختلفة، مثلاً اختلاف الشخصية في مرحلة الطفولة عن مرحلة المراهقة والرشد إلى مرحلة الشيخوخة ومدى استمرارية خصائصها[١]. تنوعت التعريفات التي يقدمها العلماء حول الشخصية الإنسانية، بينما تجنب آخرون تقديم تعريف لها أمثال هال وليندسي Hall and Lindzey، وحاول آخرون تقديم تعريف مرن قابل لتضمين عدة مفاهيم مثل التعريف الذي قدّمه كوهين وسويردليك (Cohen & Swerdlik, 2009) إذ عرّف الشخصية بأنها (التجمع المتفرّد من الخصائص والحالات النفسية للفرد).

هنالك متسع من التصورات يمكن تكوينها بالنظر إلى التعبيرات المتضمنة في تعريف كوهين وسويردليك، إذ إنّ السمات traits منها ما هو عقلي مثل الذكاء وأسلوب التفكير وسعة الانتباه وغيرها من السمات العقلية أو المعرفية، ومنها ما هو وجداني مثل الهدوء والاتّزان والصبر والتحمل وغيرها. والسمات النفسية كما عرّفها جيلفورد Guilford (Cohen & Swerdlik, 2006) هي صفات ثابتة نسبيًّا يمكن تمييزها distinguishable، يختلف ويتمايز فيها الأفراد عن بعضهم بعضًا أما الحالات [٢] ، فهي "وضع مؤقت" في الشخصية أقل استقراراً من السمة مرتبط بظرف محدد مثل حالة القلق التي تعتري الفرد لمروره بظروف الامتحانات أو السفر أو أي ظرف يستثير التوتر والانزعاج. ويُسمّي علماء الشخصية مفهوماً آخر من مفاهيم الشخصية وهو النمط type، فبينما السمات خصائص مميزة للأفراد والحالات أوضاع نفسية عابرة، فإنّ

1- Personality continuity
2- States

الأنماط هي مجموعة من السمات تتسق مع بعضها بعضًا مكونة نظاماً مميزاً للأفراد يتيح تصنيفهم لأي غرض من الأغراض(Cohen & Swerdlik, 2006)، ويقدّم التصنيف وصفاً تقريبياً مستفيضاً للشخصية، فإنّك إذا قلت إنّ شخصاً ما مقبول فذلك يمثل إشارة إلى صفة غالبة في شخصيته، ولكنك إذا قلت إنّه من "النمط" المقبول فإنك بهذا الوصف تشير إلى مجموعة من الخصائص مرتبطة بسمة المقبولية [١]، مثل الود وطيب المعشر وربما رهافة الحس وغيرها من الصفات التي تجعل الفرد مقبولاً لدى الآخرين.

يحتوي علم نفس الشخصية على عدد من النظريات من أشهرها نظرية التحليل النفسي لسيغموند فرويد وقد قسم الشخصية إلى ثلاثة أنظمة ينعكس تأثيرها في السلوك الظاهر والخصائص المميزة للفرد، هذه الأنظمة الثلاثة هي الأنا الدنيا (Id) وهو النظام الذي يعمل على إشباع الغرائز والحاجات الأولية كالحاجة إلى الطعام والشراب والغرائز الأخرى كغريزة الجنس، والمكون المقابل للأنا الدنيا وهو الأنا العليا [٢] وهو نظام يقوم بدور الضمير أو الوازع الذي يكبح جماح الجانب المادي والغريزي في الإنسان، بينما النظام الثالث وهو الأنا[٣] يعمل على حفظ التوازن بين مطالب الطرفين. وقد لقيت نظرية التحليل النفسي رواجاً وسط علماء السياسة الذين كانوا يرون فائدة علم النفس في فهم السلوك السياسي أمثال هارولد لاسويل. وتُعَدُّ نظرية التحليل النفسي إحدى النظريات الكلاسيكية التي تستخدم في فهم الشخصية الإنسانية إلى جانب نظريات أخرى هي النظرية السلوكية التي تركّز على التعلم والخبرات البيئية، والنظرية الإنسانية التي تركّز على الخبرة الذاتية الفريدة والنزعة الارتقائية للإنسان، وهذه النظريات في مجملها تمثل محاولة عامة لفهم "الطبيعة الإنسانية" حتى الحديث منها والذي يستند على المدخل المعرفي مثل نظرية البنية الشخصية لجورج كيلي Gorge Kelly فهي تُعَدُّ أيضاً محاولة لفهم

1- agreeableness
2- Superego
3- Ego

الطبيعة الإنسانية، ويرى كيلي أنّ لكلّ إنسان بنية [١] يرى بها العالم من حوله ويفسّر بها الأحداث، ويتوقع ما هو آت بناء على محتوى هذه البنية نتيجة للتجارب التي عاشها ومرّ بها (Fransella, 2003). أما الاتّجاه التطبيقي في نظريات الشخصية فيحتوي على عدة نماذج وهو يعتمد على قياس الشخصية وفق مصفوفة محددة من السمات مثل نموذج أو نظرية السمات لغوردون ألبورت Gordon Allport وهناك مدخل الأنماط الذي يضمّ عدداً من النماذج مثل نموذج ريموند كاتل Raymond Cattel ونموذج كارل يونغ Karl Joung وهانز إيزنك Hans Eysenck وجميعها يقوم على فكرة تصنيف الناس على أساس أنّ الشخصية هي مجموعة خصائص مميزة للأفراد عن بعضهم بعضًا، وأكثر الخصائص شيوعاً هي الأساس الذي يقوم عليه التصنيف، وهي الخصائص الأكثر حضوراً في قاموس عامة الناس والتي يستخدمونها في وصف بعضهم بعضًا، ويُسَمَّى ذلك بالمدخل المعجمي في دراسات الشخصية[٢]، مثلاً النموذج الشهير لإيزنك ينسجم مع ما تعارف عليه عامة الناس من أوصاف يطلقونها على بعضهم بعضًا مثل الانطوائية والانبساطية أو الاجتماعية، وهما يمثلان طرفين لأحد أبعاد مقياس إيزنك للشخصية ومنهما تطوّر النموذج الحديث الذي يحتوي على خمسة عوامل، الشهير بالعوامل الخمسة الكبرى [٣] والعوامل الخمسة هي: الانفتاح، يقظة الضمير، والانبساط، والمقبولية، والاتّزان الانفعالي (Saucier & Goldberg, 1998).

لعل الجانب التطبيقي القائم على مدخل السمات والأنماط في علم نفس الشخصية يمثل قابلية أكبر لتطويعه في فهم الأداء السياسي لاحتوائه على أدوات تصنيفية أكثر وضوحاً لذلك فقد لقي رواجاً كبيراً وسط علماء السياسة المهتمين بالجانب النفسي، لذلك قامت الكثير من دراسات الشخصية في المجال السياسي مستخدمة مدخل السمات لفهم شخصيات القادة والحكام، وقد

1- Personal construct
2- Lexical approach
3- The big five model

قسّم الباحثون في هذا المجال الأطراف السياسية إلى قادة ومواطنين أو نخبة وعامة، وحاولوا الربط بين السمات الشخصية للقادة أو النخبة السياسية[١] والأتباع أو المواطنين أو الناخبين (انظر Corr&Mathews,2009). وأشار كور وماثيوس إلى أن هناك حاجة إلى فهم تأثير الشخصية على الأيديولوجيات السياسية وقد أوردا عدداً من الدراسات التي أشارت إلى الفروق في عامل "الانفتاح[٢] " وسط المحافظين والليبراليين إذ يتّسم الليبراليون وذوو الاتّجاه اليساري بالانفتاح على التجارب بينما يرتبط هذا العامل ارتباطاً سلبياً مع الأيديولوجيا اليمينية المحافظة. كما أشارت دراسات كابرارا وزملائه (Caprara et al,2006) حول القيم وسمات الشخصية وعلاقتها بالاختيار السياسي[٣] في إيطاليا، إذ يتّسم من يختارون الاتّجاه اليساري[٤] بالودّ[٥] والانفتاح[٦] بدرجة عالية مقارنة بالناخبين من اليمين[٧] ، كما يتّسم الناخبون اليساريون بارتفاع قيم الشمولية والنزعة إلى الخير[٨] والتوجّه الذاتي[٩] ، وانخفاض قيم الإنجاز والسلطة والمسايرة والالتزام بالتقاليد.

إن ما يلاحظه الناس من سمات شخصية أو حالات أو أنماط، إنما هي مظهر عام مميز للشخصية تقف وراءه بنيات وأنظمة نفسية تكونت ورسخت على مرّ التجارب والأحداث، هذه البنيات والأنظمة يمكن إجمالها في الآتي:

١- **نظام القيم**[١٠] : نظام القيم أو النسق القيمي هو بنيات معرفية cognitive structures تقود وتوجّه أحكام الفرد على الأشياء والمواقف من حوله وتقديراته لها بناء على مبادئ الصواب والخطأ، أو التفضيلات الشخصية

1- political elites
2- openness
3- political choice
4- center-left voters
5- friendliness
6- openness
7- center-right voters
8- universalism
9- self-direction
10- **value system**

والاجتماعية، وتنتظم هذه البنيات في ترتيب بحيث يقدم الفرد ويعلي قيما لتسبق أخرى، مثل أن يقدم الفرد مصالحه الشخصية على مصالح المجتمع أو العكس، أو يفضل الفرد حزباً دون آخر لأنه يعلي قيم الإنجاز الفردي أو الولاء الوطني، ويقابل ذلك الترتيب الذي تنتظم فيه القيم لديه، وتؤثر القيم تأثيراً مباشراً في السلوك، فقيمة العلم تحرك السلوك الهادف إلى اكتساب المعرفة وقيمة الوطن تحرك السلوك الهادف إلى تأييد الحكومات أو معارضتها (Oyserman, 2015).

٢- **نظام الدوافع**[١] : تعرف الدافعية بأنَّها "قوة"[٢] تحرك السلوك، وهي قوة ذات طبيعة مركبة، فهي قوة بايولوجية، انفعالية، اجتماعية، ومعرفية، تقوم بدفع الفرد إلى الشروع في القيام بفعل محدد[٣]، ثُمّ توجّه الفعل اتجاهاً محدداً[٤]، وتعزز الفعل[٥] فيستمر الفرد حتى يتمّ الإشباع[٦]، ويتضمّن مفهوم الدافعية الجهد المتصل والمبذول للاستمرار[٧] ، والجهد المكثف[٨] ، وهو الانخراط في عدة أنشطة إلى حين تحقيق الهدف وليس نشاطاً واحداً مستمراً كما في الجهد المتصل (Brown,2007).

٣- **المعتقدات الشخصية**[٩]: المعتقد هو إيمان وتصديق بفكرة أو رأي أو مذهب ينشأ خارج نطاق إرادة الفرد، هذا التصديق والإيمان بفكرة معينة يوجه أفكار الفرد ويحدد وجهة سيره، وبالتالي أفعاله اليومية (لوبون، ٢٠١٢). فالمعتقد الديني مثلًا يقود الفرد إلى الاهتمام بتكوين المعارف الدينية، والمعارف الدينية بدورها تدفع الفرد إلى القيام بأفعال متصلة بها

1- **motivational system**
2- force
3- Initiate- activate
4- guides-direct
5- sustain-maintain
6- gratification-satisfaction
7- persistence
8- intensive
9- **personal believes**

مثل التعبد وأداء الشعائر الدينية، والمعتقد السياسي يوجِّه أفكار الفرد، مثل أن يؤمن الفرد بأنّ هنالك ضرورة لوجود قائد سياسي يحتكم إليه أتباع يؤيدونه ويرعاهم، وينشأ عن ذلك الاهتمام بما يدور في المجال السياسي من تفاعل بين الدولة والمواطن، وقد يتبع ذلك سلوك الالتفاف حول القادة والولاء للجماعات السياسية أو للحكومات وغير ذلك من مظاهر السلوك السياسي.

٤- **الأسلوب المعرفي**[١] : وهو الطريقة العامة التي يفكّر بها الفرد في تناوله للمواقف أو القضايا أو المشكلات التي يواجهها، فقد يتّسم تفكيره بالمرونة بحيث يتسع ليشمل عناصر غير مألوفة أو حلولاً بعيدة من متناول تفكير من حوله[٢] ، أو يكون تفكيره قاصراً على ما هو مألوف وشائع[٣] . أو يكون تفكيره كلياً وشمولياً يفكّر في أشياء متعددة في ذات الوقت[٤] ، مقابل نوع آخر من التفكير يُسَمّى بالتحليلي[٥] أو التسلسلي[٦] . وهناك عدد من المتقابلات من هذا النوع، مثل التفكير التأملي[٧] مقابل المندفع[٨]، والتفكير المعتمد على الخيال الصوري[٩] مقابل المعتمدعلى الألفاظ[١٠] ، والتفكير التأقلمي[١١] مقابل التجديدي[١٢] (Feldman, 2009).

هذه البنيات ليست مستقلة عن بعضها بعضًا وإنما في حالة تفاعل مستمر وذات تأثير مشترك فيما يظهر لنا من سمات شخصية، على سبيل المثال؛ من كان يعرف بين الآخرين بأنّه من النمط المنبسط أو الاجتماعي،

1- **cognitive style**
2- divergent thinking
3- convergent
4- holistic
5- analytical
6- sirialist
7- reflective
8- impulsive
9- imagery- based
10- verbal
11- adaptive
12- innovative

فإنّ هذا النمط من شخصيته ربما يكون ناتجًا عن تفاعل قيمة اجتماعية هي التماسك والترابط الاجتماعي مع وجود أساس لها في نظام الدوافع مثلاً دافع الانتماء، مع الإيمان بالمنظومة الاجتماعية (المعتقد) مثل أهمية وجود الأسرة، العائلة، المنظمة الطوعية أو الحزب السياسي، مع أسلوب معرفي يتّسم بالانفتاح نحو الآخر. ويسبق ذلك كله خبرات التنشئة الاجتماعية. إنّ كثيراً من المواقف والقرارات السياسية، كما أشار فيتشيوني وكابرارا (Vecchione , 2009 & Caprara) ترتبط بالسمات الشخصية وما يؤثّر فيها من التوجه السياسي الأيديولوجي للفرد، وترتبط الأيديولوجيات بالمعتقدات والبنيات المعرفية التي تنظم أو تشوّه المعلومات السياسية.

هناك عامل مهم في دراسات الشخصية وهو العنصر البيئي أو السياق الذي تقوم فيه الشخصية بنشاطها وتأثيرها الذي تحدث فيه تفاعلات لها أثر متفاوت في ناتج تأثير الشخصية على المواقف والقرارات السياسية، فقد تراود شخصاً ما فكرة حول موقف سياسي محدد، مثلاً الإحجام عن المشاركة في الانتخابات وتسوق الأحداث ما يجعل هذا الشخص يغيّر موقفه ويتّخذ قراراً بالمشاركة عبر التصويت أو حتى المشاركة في حملة انتخابية تحت تأثير مجموعة أصدقاء أو رسائل إعلامية مقنعة أو برنامج انتخابي يتوافق مع تطلعات هذ الشخص أو مصالحه الشخصية، ومن صور تفاعل العوامل البيئية مع الخصائص الشخصية ما توصل إليه ليتيل (Little et al, 2007) حول تأثير الثقافة في القرار السياسي في المجتمعات الجمعوية والفردانية [1] إذ إنّ الأفراد في الثقافات الجمعوية يقدمون الكفاءة الاجتماعية (الإحساس بالآخرين والانتباه للمثيرات الاجتماعية والتأقلم والانسجام مع الجماعات) على الكفاءة الذاتية (الذكاء والأداء الجيّد للمهام والإحساس بالثقة) في المرشحين بينما في الثقافة الفردانية يقدم الناخبون الكفاءة الذاتية على الكفاءة الاجتماعية، هذه الفروق تختفي إذا كانت البلاد في حالة حرب إذ يركّز الناخبون على القوة في كل

1- collectivistic and individualistic societies

الأحوال، وفي حالة السلام يركّزون على الجانب الاجتماعي (ليتيل وزملاؤه Little et al مذكور في Chen et al, 2012).

إن استيعاب الدور المؤثر للشخصية الإنسانية في المجال السياسي وقضاياه الشائكة، مهمة شائكة، سيما وأن هناك اتجاهات حديثة في مجال الشخصية تدعو إلى دراسة الشخصية الانسانية بوصفها نظاما للإدارة الذاتية[1] يتوسط الفرد وبيئته (Disengagement & Attractors, 2003; Volz & Masicampo, 2021)، وهنا يكمن التعقيد والتشعب حين تكون هذه البيئة هي بيئة المجال السياسي المحتشدة بالأنظمة السياسية، لذلك فإن من أدقّ المهام التي يجب على المتخصصين في علم النفس السياسي القيام بها، تقديم تصوّرات وأطروحات حول الكيفية التي يتفاعل بها "نظام الشخصية" مع "الأنظمة السياسية".

ثالثًا: علم النفس المعرفي:

يهتمّ علم النفس المعرفي بشكل رئيسي بدراسة العمليات العقلية كمكونات للنشاط العقلي، مثل الإحساس والإدراك والانتباه والذاكرة والتفكير واللغة كما يهتمّ بدراسة النشاط العقلي، أي الكيفية التي يتمّ بها إدراك الفرد للأشياء من حوله، وكيفية التعلم لديه، وكيف يتذكّر الفرد وكيف يفكّر، وكيف يعالج اللغة بجميع مكوناتها (المفردات والمعاني والأصوات).

بالنظر إلى موضوع علم النفس المعرفي فإنّه يمكننا تكوين تصوّرات حول علاقة علم النفس المعرفي بعلم النفس السياسي، فعلم النفس المعرفي يهتمّ بالمعالجة الذهنية للمعرفة من أبسط المستويات إلى أعقدها، سواء أكانت هذه المعرفة علمية أم أكاديمية، أم معرفة دينية، أم معرفة اجتماعية أم سياسية. وتبدأ عملية المعرفة بالإحساس بالأشياء، أو استقبال المدركات عبر أعضاء الحس مثل المدركات البصرية أو السمعية أو غيرها من المحسوسات، ثم تتمّ المعالجة الذهنية لهذه المدخلات فيتمّ تمييزها عبر عملية الإدراك ويتمّ حفظها

1- self-regulatory system

عبر عملية التذكر، ثمّ تتمّ فيها معالجات أكثر تعقيداً عبر التفكير بأنواعه المختلفة، مثلاً التفكير لحلّ المشكلات واتّخاذ القرارات والتفكير الناقد والإبداعي على سبيل المثال لا الحصر. إذ إن كثير من الظواهر السياسية تحتاج منا إلى تطويع المعارف التي قدّمها علماء النفس المعرفيون، مثلاً كيف يميّز القائد السياسي بين جمع غفير من المتلقين لخطابه وبين جمع صغير وكيف يفسّر علامات التفاعل معه، ماذا يعني له كلّ موقف منهما، وكيف يقدّر الأفراد حجم الصراعات السياسية، ولعل أهمية فهم العمليات العقلية تكون واضحة في أكثر المواقف السياسية تهديداً لحياة الإنسان وهي مواقف الحرب والمواجهات العنيفة، إذ إنّ دراسة القدرات الإدراكية لمستخدمي الأسلحة أمر في غاية الأهمية، ويمكننا تصور النتائج الكارثية لسوء استخدام السلاح مثلاً من قبل جندي اضطربت لديه القدرة على الإدراك المكاني وأصبح لا يقدِّر المسافات بشكل جيّد أو طبيعي، كما يمكننا تصوّر حجم فشل الأداء السياسي لقائد لا يستخدم ذاكرته وهو يعالج قضايا العلاقات الخارجية لدولته أو الشؤون الداخلية أو على الأقل في عملية التفاعل الاجتماعي بينه وبين أتباعه.

من بين المعارف المهمة التي قدمها علماء علم النفس المعرفي خاصة أصحاب مدخل "معالجة المعلومات [١]" المعارف التي قدمها آلان نيويل وهيربرت سايمون حول نماذج حل المشكلات عند الأفراد، وحل المشكلات قدرة تعبر عن مستوى معقد نسبيًّا من مستويات التفكير. ما قدمه نيويل وسايمون يدور حول النماذج والأساليب التي يستخدمها الإنسان في حل المشكلات (Newell & Simon, 1972)، قد تفيد في فهم أساليب السياسيين في التعامل مع المشكلات في مجال السياسة.

ومن ضمن العلوم المكونة لعلم النفس المعرفي علم الأعصاب[٢] وقد شمله المدّ البحثي في علم السياسة فظهرت تقاطعات جديدة مثل علم السياسة

1- information processing
2- neuroscience

العصبي[١] ، وهو علم فرعي يهتمّ بدراسة العمليات الفيزيولوجية التي تقف وراء المعرفة السياسية والسلوك السياسي، وقد اتّجهت جهود الباحثين لتكوين معارف حول الكثير من الموضوعات من مدخل عصبي، منها التحيز العرقي، العلاقات البينية داخل المجموعات، التحيز الحزبي، دوافع المعرفة السياسية، طبيعة الفروق بين اليمين واليسار في التوجهات السياسية (Jost & Amodio, 2012) وبنية الاتجاهات السياسية، وقد تناول الباحثون جدلية الوراثة والبيئة في هذه الموضوعات[٢] ((Jost et al., 2014).

وقد دعا العلماء إلى الاستفادة من تقنيات علم المعرفة العصبي مثل تقنية الرنين المغناطيسي (MRI) في دراسة النشاط الذهني المرتبط بالاتجاهات السياسية واتّخاذ القرارات السياسية والتفكير السياسي عموماً (Lieberman et al., 2003)، وقد أشارت مجموعة من الدراسات إلى فائدة هذه التقنية فعلاً في دراسة الاتّجاهات السياسية للناخبين الأمريكان مثل دراسة نوتسون وزملائها (et Knutson al., 2006) حول قوة الاتّجاهات السياسية في الانتماء الحزبي، ودراسة إميلي وزملائها (Emilie et al, 2013) حول الفروق في اتّخاذ القرار بين الخبراء السياسيين والأشخاص العاديين.

كيف يمكن لعلم النفس السياسي الاسهام في تحقيق الاستقرار السياسي في العالم العربي؟

أورد (بوعافية، ٢٠١٦) تنظيرات العلماء وعدة تعريفات للاستقرار السياسي من بينها أن الاستقرار السياسي هو حالة من الثبات تصف الأنظمة الحاكمة تتيح لها السيطرة على المتغيرات واحتواء الأزمات وتجنب الانهيارات والانقلابات التي تطيح بالأنظمة مع المحافظة على التماسك الداخلي لهذه الأنظمة وانتفاء العنف، كما أن الاستقرار السياسي هو محصلة أداء النظام السياسي عندما يعمل بكفاءة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحقق

1- political neuroscience
2- chicken-and-egg problem

رفاه العيش للجمهور، كما ربطت هذه التعريفات بين الاستقرار السياسي والمشاركة السياسية من جهة والمؤسسة السياسية من الجهة الأخرى. وبالنظر إلى ما يعانيه العالم العربي اليوم من حالات الاضطراب السياسي في عدد من بلدانه وتأزّم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وما أفضت إليه تلك العلاقة المأزومة من تدهور في الأوضاع السياسية، تبعه تدهور الاقتصاد والأمن واشتعال الثورات الجارفة التي اقتلعت انظمة سياسية طال أمدها ووصفت بالمتحجرة، يمكن القول إن العالم العربي مصاب بحالات من انعدام الاستقرار السياسي في عدد من بلدانه، قد يجدي أن تحشد أدوات علم النفس السياسي لتوفير المعارف حول كيفية مواجهة الأزمات السياسية في العالم العربي، وهنا يبرز دور المتخصصين في علم النفس السياسي لتقديم معارفهم وخبراتهم، وهو دور مركب يضع في اعتباره حجم الأزمات التي تعانيها المجتمعات والأفراد في العالم العربي، ويمكن القول إن مسؤوليات متخصصي علم النفس السياسي ترقى إلى مستوى "ريادة الإصلاح الاجتماعي" بما يملكون من معارف وخبرات يمكن أن يسهموا بها في مواجهة وعلاج قضايا السياسة والحكم، إذا أحسنت المؤسسات السياسية الاستفادة منهم، وقد دعا وشدد على ذلك كبار رواد حركات الإصلاح الاجتماعي في التاريخ الحديث أمثال مارتن لوثر كينغ رائد حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية في محاضرة تاريخية ألقاها لرابطة علماء النفس الأمريكان في العام ١٩٦٧ وما زال تأثيرها ماثلاً إلى اليوم (Kinderman, 2014) إذ أسهمت حركته وأدوات تأثيره في تغيير اجتماعي جوهري في حياة الأفارقة الأمريكان ومكنتهم من تحقيق قدر كبير من الكرامة الانسانية بعد معاناة تاريخية من التمييز العنصري. ويمكن توضيح دور علم النفس السياسي في مواجهة تحديات وأزمات العلاقة بين الحاكم والمحكوم في العالم العربي من خلال نموذج يحتوي على ثلاثة مسارات تتمثل في دور المتخصصين في علم النفس السياسي، ودور المؤسسات السياسية، ودور المؤسسات التعليمية.

١- أولاً: دور المتخصصين في علم النفس السياسي

ربما تقع المسؤولية الكبرى في تقديم الحلول لمعضلات السياسية والحكم في العالم العربي، على عاتق المتخصصين في العلوم الاجتماعية ومن بينهم علماء النفس السياسي، وبلا شك فإن دورهم لا يستهان بوزنه لأنه يتضمن تقديم المعارف العلمية والمساهمة في رسم السياسات القائمة على توظيف الأدوات والمناهج العلمية وتوظيف المؤسسات الأكاديمية لخدمة المجتمع، وذلك من خلال إنشاء المراكز البحثية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً مع المؤسسات الاجتماعية والإدارية التي تعمل في خدمة المجتمع والمؤسسات السياسية، وتطوير الموجود منها، واستحداث البرامج الأكاديمية والدرجات العلمية في مجال علم النفس السياسي. ومن التحديات الكبرى التي يمكن أن تواجه علماء النفس السياسي وهم يؤسسون ويقدمون معارفهم ما يجب الانتباه له من فروق ثقافية مؤثرة في نجاح الحلول المقدمة، إذ إن معارف علم النفس السياسي الغربي قد يصلح بعضها للتطبيق في البلدان العربية ولا يصلح بعضها الآخر لاختلاف القضايا والمشكلات التي تعانيها المجتمعات العربية واختلاف الأنظمة السياسية وشكل العلاقة بين الحاكم والمحكوم في البلدان العربية.

أ- **تقديم التصورات حول الكفاءة السياسية:** من المعارف المهمة التي قد يفيد توفرها في تحسين مستوى الممارسة السياسية وقد تضمنتها تنظيرات فلاسفة السياسة، ما يدور حول معايير الكفاءة السياسية، ومواصفات الحاكم الرشيد الذي يرغب الجماهير في حكمه ويدينون له بالطاعة والولاء الذي يمتلك القدرة على قيادتهم وتفجير طاقاتهم واستثمارها وتوجيهها الوجهة الصحيحة والتأثير في المجتمع الدولي والاستقلال عنه بالرأي والقوة، وحل المشكلات الكبرى وتحقيق الرفاه النفسي للمجتمع الذي يرعاه، وكذلك ما هي خصائص المواطن الصالح، الذي يمثل المفردة الاجتماعية والسياسية، إذ إن تحقيق التوازن والاستقرار السياسي لا يتمّ إلا بإصلاح الطرفين، الدولة والمواطن أو الحاكم والمحكوم. قد يكون الاستهداء بمعارف علم النفس التنظيمي مفيداً في

إعداد القادة والتدريب على المهارات الإدارية واختيار العاملين في المجال السياسي على أسس تنظيمية واضحة ومغادرة دائرة التركيز على الرغبات والأمزجة وممارسة الهوايات، فالعمل في طاقم الحكومات هو مهنة في المقام الأول وليس ميداناً لممارسة الهوايات.

ب- **تعزيز اتجاه تكامل العلوم:** إن القضايا السياسية والمشكلات التي تحتاج إلى توفر المعارف والبحوث لمواجهتها وحل تعقيداتها لا بُدّ من تكامل الجهود البحثية فيها، فلا بُدّ مثلاً من التعاون بين علم الاقتصاد وعلم النفس خاصة ما يضطلع منه بمفاهيم الإنفاق والادخار واستثمار الموارد، لتحسين مستوى سلوك الإنفاق ورفع الوعي بالمعارف المالية والاقتصادية وتحسين الاتّجاهات حولها وذلك قد يسهم في تحسين السلوك السياسي من جهة المسؤولية الفردية والاجتماعية وحسن استخدام الموارد وترشيدها، كذلك تكامل علم الإدارة مع علم النفس، خاصة ميدان الإرشاد النفسي النمائي، وما يطلع منهما ببناء وتطوير القدرات لدى الأفراد والجماعات وتوجيهها الوجهة الصحيحة لتصبّ في مساعدة الأفراد على الاستفادة من إمكاناتهم وقدراتهم وبالتالي تحقيق ذواتهم. لقد تنامت الدعوة للاتجاه التكاملي في العلوم الاجتماعية وشرع كثير من الباحثين والعلماء في مجال العلوم السياسية فعلاً في الاستفادة من معارف علم النفس، مثلاً نظرية ماسلو لقيت اهتمامًا كبيرًا وتطبيقات واسعة في مجال الاقتصاد، ومعارف علم النفس المعرفي والاجتماعي كونت فرعًا جديدًا من العلوم الاجتماعية يسمى الإدارة العامة السلوكية[1] (انظر Omweri, 2024).

٢- **ثانيًا: دور المؤسسات السياسية**

يمكن إجمال دور المؤسسات السياسية من حكومات وأنظمة سياسية أخرى في ثلاثة اتجاهات أو سياسات رئيسة هي:

أ- **تحقيق العدالة الإجتماعية:** ذهب عدد من الباحثين الذين تناولوا

1- behavioural public policy

بالتحليل والدراسة الثورات التي اجتاحت البلدان العربية وسميت بالربيع العربي، إلى أن من بين الأسباب الرئيسية لاشتعال هذه الثورات، الظلم الاجتماعي الذي يسم الكثير من المجتمعات العربية خاصة الفقير منها (بلحاج، ٢٠٢٢) والعمق التاريخي للثورات وحركات التغيير الاجتماعي السياسي دائما ما يحمل في ظاهره وباطنه مطلب العدالة الاجتماعية، وليس أدل على ذلك من الثورة الفرنسية في التاريخ العالمي الحديث، إذ تمثل العدالة الاجتماعية المكون الجوهري للمجتمعات السليمة المعافاة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أطروحة علماء نفس السلام المعاصرين ومن أشهرهم دانييل كريستي الذي وصف الظلم الاجتماعي بأنه نوع من العنف البنيوي غير المباشر [1] وهو لا بد أن يتفجر يومًا ما مسببًا العنف المباشر المتمثل في النزاعات الكبرى والحروب (Christie et al., 2001).

ب- <u>التوظيف الرشيد للإعلام:</u> لعل من أكثر ما يمكن أن يسهم في حل أزمات السياسة والحكم في البلدان العربية هو تحسين مستوى الخطاب السياسي والتواصل بين الحكومات وشعوبها، ومع توفر الوسائط الاجتماعية التكنولوجية وفاعليتها في إتاحة فرص التعبير، قد تحقق الجهود في هذا المجال الفائدة المرجوة. وبالنظر إلى مسيرة التطور التاريخي لعلم النفس السياسي وما ذهب إليه العلماء من تقسيمه إلى حقب ثلاثة (تم الإشارة إليها سابقًا في هذا المقال)، سادت في كل حقبة منها معارف محددة واتجاه بحثي واضح صبغ الإنتاج المعرفي، فلعلّ الحقبة الحالية قد تكون حقبة الإعلام السياسي، ولا يخفى على كل مهتم ومهموم بقضايا السياسة والحكم قيمة المعارف في هذا المجال والخدمة التي قد يقدمها الإعلام السياسي النزيه في تحسين مستوى الممارسة السياسية. ولقد اهتم الباحثون في هذا المجال اهتماما كثيفا وتراكم قدر كبير من المعارف يفيد أن استخدام الحكومات للوسائط الإعلامية الحديثة خاصة المنصات الاجتماعية شائعة الاستخدام مثل الفيسبوك لها تأثير عميق في

1- structural violence

المستخدمين، إذ إن التواصل المباشر بين الحكومات والجمهور له القدرة على إدامة التفاعل وتحقيق الإشباع ومنح الإحساس بالانتماء (Guo et al., 2016).

ج- استثمار الطاقات وإتاحة فرص المشاركة السياسية للجمهور:

أشار ديفيد (Davies, 1959) إلى أن معظم الناس لا تشكل المشاركة السياسية في حد ذاتها "خبرة إشباع" لهم، ولكنها وسيلة للحصول على ضروريات الحياة أو وسيلة لتحقيق الإحساس بالانتماء [١]، لذلك وصف ديفيد الغالبية العظمى المشاركين سياسيًا بأنهم "إجرائيون [٢]" حين يحتجون لرفع مستوى المعيشة، أو حين يصوتون لمرشح ما، يعد بتخفيض الضرائب في حملته الانتخابية أو بتوفير نظام مريح للتأمين الصحي، أو حين يحتج رجل الأعمال على عدم عدالة قوانين العمل والتجارة، ولا يبدي رأيًا حول القضايا التي تمس المعلمين أو المهندسين أو غيرهم مما هو خارج نطاق مصالحه الشخصية، وأشار ديفيد إلى أن قلة قليلة من الناس يزيد مستوى المشاركة السياسية لديهم أو هم ينخرطون تمامًا في الحياة السياسية مدفوعين بالرغبة في تحقيق الذات، التي سماها ديفيد self-realization، وهي ذات الرغبة التي دارت حولها نظرية أبراهام ماسلو Abraham Maslow الشهيرة بنظرية هرم الدافعية أو هرم ماسلو، لكن ماسلو استخدم تعبيرًا مختلفًا بعض الشيء، ولعله أكثر عمقًا واتساعًا، وهو self-actualization الذي يحمل معنى "التفعيل" لإمكانيات متوفرة، وتشير التسميتان إلى فكرة جعل "الذات" واقعًا وحقيقة، ولكن التعبير الذي استخدمه أبراهام ماسلو، وشاع استخدامه، يستثير الأذهان للتفكير حول الكيفية التي يفعل بها الفرد الإمكانات لتصبح "الذات" بما تحويه من رغبات وميول، واقعًا وحقيقة. في ذات السياق أوضح ديفيد (Davies, 1959, 415) أن تحقيق الذات قد يتم من خلال الانخراط في خدمة الآخرين، أو بدافع تحقيق الكفاءة السياسية[٣]، وقد يجتمعان معًا، وذلك من قبل الأشخاص الذين توفرت لهم ضروريات الحياة.

1- belongingness
2- instrumental
3- Statecraft

٣- دور المؤسسات التعليمية

إنّ التفاعل المثمر في العملية السياسية أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم، يتطلب أن يمتلك أطرافها الوعي السياسي اللازم لفهم واستيعاب القضايا السياسية والإلمام بالحقوق والواجبات والاستبصار بعناصر الوقاية من الأخطار التي تهدّد الاستقرار السياسي، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الاستفادة من أدوات ومعارف المنظور التعليمي النفسي ومبادئ التنشئة النفسية الاجتماعية، ليتم بناء الوعي السياسي وتطويره في النشء من خلال المؤسسات التعليمية التأسيسية والعليا منها، وقد يسهم ذلك في تيسير توفير مناخ نفسي اجتماعي يهيئ لتواصل سياسي معافى بين القادة والجمهور، كذلك يتيح المدخل التعليمي غرس القيم السياسية الإيجابية، مثل قبول الآخر، والمسؤولية الفردية والجماعية وقيم السلام والوحدة الاجتماعية وكل ما من شأنه أن يحقق الاستقرار السياسي. إن غرس تلك القيم في المناهج الدراسية وتعزيزها عبر وسائط التنشئة الاجتماعية، قد يبدو أمراً ثمراته بعيدة المدى، لكنه السبيل الأجدى لتحقيق التغيير الاجتماعي والسياسي العميق، وهناك إجماع عالمي وفكري على أن تحقيق أي إصلاح يرمي إلى رقي المجتمعات، يتم بشكل رئيسي من خلال إصلاح التعليم (Alayan, 2012).

خاتمة

حاولت الورقة إظهار قيمة علم النفس السياسي من خلال تتبع نشأته وتطوره في الغرب، وما ثبت له من مكانة تبدو جليةً من خلال ثراء معارفه ومنفعته في المجتمع الغربي، ربما يدعو ذلك المتخصصين والمهتمين في المجتمعات العربية إلى تطويره وتوظيف معارفه في خدمة المواطن والمؤسسات السياسية والمجتمع العربي عامة . ويمكن القول إن النموذج الثلاثي الذي تم طرحه في هذه الورقة من قبل الباحثة قد يسهم بشكل فعال في المدى القريب والبعيد في تحديد مسارات الحل ومن ثم ورودها والسير فيها إلى أن يتحقق الهدف وهو تحقيق الاستقرار السياسي في العالم العربي، خاصة وأن الباحثة قد

راعت في صياغة النموذج المفاهيم النظرية في علم النفس السياسي فيما يتعلق بأطراف العلاقة بين الحاكم والمحكوم وما يؤثر عليها من عناصر بيئية مثل وسائط الإعلام، وأشكال التفاعلات بين الطرفين التي نبَّه إليها كبار المفكرين في علم النفس السياسي، إذ إن التأثير متبادل بين الفرد باعتباره العنصر الرئيس المحرك للظواهر السياسية، والمؤسسات السياسية التي تؤثر في الأفراد وتتأثر بهم.

المراجع:

بلحاج، الهواري .(٢٠٢٢). ثورات الربيع العربي: أسبابها ونتائجها. **مجلة الدراسات الحقوقية، ٩ (٢)**، ٤٧٠-٤٩٣.

بوعافية، محمد .(٢٠١٦). الاستقرار السياسي، قراءة في المفهوم والغايات. **دفاتر السياسة والقانون، (١٥)**، ٣٠٨-٣٢٨.

حامد، عبد القادر .(٢٠١٩). **مقدمة في فلسفة السياسة**. مركز ابن خلدون، قطر.

زروق، عبد الله .(٢٠٠٧). **دراسات في المعرفة والنقد في الفكر الاسلامي**، الطبعة الأولى. مركز التنوير المعرفي، الخرطوم.

الشيب، هادي؛ يحيى، رضوان .(٢٠١٧). **مقدمة في دراسة علم السياسة والعلاقات الدولية**. المركز الديموقراطي العربي للنشر، ألمانيا.

الكاظم، صالح؛ العاني، علي .(١٩٩١). **الأنظمة السياسية**. جامعة بغداد.

لوبون، غوستاف .(١٩١٢). **الآراء المعتقدات**، ترجمة عادل زعيتر. كلمات للطباعة والنشر، القاهرة.

Alayan, S.; Rohde, A.; & Dhouib, S. (Eds.). (2012). *The Politics of Education Reform in the Middle East: Self and Other in Textbooks and Curricula* (1st ed.). Berghahn Books. http://www.jstor.org/stable/j.ctt9qcz22

Bay, C. (1968). Needs, Wants, and Political Legitimacy. *Canadian Journal of Political Science, 1(3),* 241–260. doi:10.1017/S0008423900036763

Bordens, S.; & Horowitz, A. (2008). **Social psychology**. Freeload Press, USA.

Brown, V. (2007). **Psychology of motivation**. New York, Nova Publishers.

Caprara, V.; Schwartz, S.; Capanna, C.; Vecchione, M.; & Barbaranelli, C. (2006). Personality and politics: Values, traits, and political choice. *Political psychology, 27(1),* 1-

Charles, E. (1924). The Significance of Psychology for the Study of Politics. *The American Political Science Review, 18, (3),* 469-488 Merriam https://www.jstor.org/stable/1944171

Chen, F.; Jing, Y.; & Lee, M.; (2012). "I" value competence but "we" value social competence: The moderating role of voters' individualistic and collectivistic orientation in political elections. *Journal of Experimental Social Psychology, 48(6),* 1350-1355

Cohen, R.; & Swerdlik, M.; (2009). *Psychological Testing and Assessment: An Introduction to Tests and Measurement (7th ed.).* New York: McGraw Hill

Corr, J.; & Matthews, G. (Eds.). (2009). *Copyright page. In The Cambridge Handbook of Personality Psychology (pp. iv–iv). imprints*, Cambridge, Cambridge University Press.

Christie, J.; Wagner, V.; & Winter, N. (Eds.). (2001). *Peace, conflict, and violence: Peace psychology for the 21st century*. Prentice Hall/Pearson Education.

Davies, C. (1959). A Note On Political Motivation. *Western Political Quarterly, 12(2),* 410-416. https://doi.org/10.1177/106591295901200203

Deutsch, M.; & Kinnvall, C. (2002). What is Political Psychology? In K. Monroe (Ed.), *Political Psychology* Lawrence Erlbaum Associates.

Disengagement, I.; & Attractors, G. (2003). Self-regulatory perspectives on personality. *Personality And Social Psychology*, 5, 185.

Feldman, R. (2009). Thinking, reasoning, teaching, and learning. Thinking, reasoning, and education. In Harvey Siegel (ed.), *The Oxford handbook of philosophy of education*. Oxford University Press, New York.

Fransella, F. (Ed.). (2003). *International handbook of personal construct psychology*. John Wiley & Sons Ltd. https://doi.org/10.1002/0470013370

Guo, J.; Liu, Z.; & Liu, Y. (2016). Key success factors for the launch of government social media platform: Identifying the formation mechanism of continuance intention. *Computers in Human Behavior*, *55*, 750-763.

Hafner-Burton, M.; Hughes, A.; & Victor, G. (2013). The Cognitive Revolution and the Political Psychology of Elite Decision Making. *Perspectives on Politics, 11 (2),* 368–386. doi:10.1017/S1537592713001084

Henriques, R. (2004). Psychology defined. *Journal of Clinical Psychology, 60 (12),* 1207–1221. https://doi.org/10.1002/jclp.20061

Hermann, G. (2002). Political psychology as a perspective in the study of politics. In Monroe, K. (Ed.), *Political psychology*, Lawrence Erlbaum Associates Publishers.

Houghton, P. (2014). *Political psychology: Situations, individuals, and cases*. Routledge, New York: https://doi.org/10.4324/9780203362624https://dictionary.apa.org/psychology

Jost, T.; & Amodio, M. (2012). Political ideology as motivated social cognition: Behavioral and neuroscientific evidence. *Motivation and Emotion, 36,* 55–64

Jost, T.; & Sidanius, J. (Eds.). (2004). *Political psychology: Key readings*. Psychology Press

https://psycnet.apa.org/doi/10.4324/9780203505984

Jost, T.; Nam, H.; Amodio, M.; & Van Bavel, J. (2014). Political neuroscience: The beginning of a beautiful friendship. *Political Psychology, 35*, 3-42

Kinderman, P. (2014). The role of the psychologist in social change. *International Journal of Social Psychiatry, 60 (4),* 403-405. doi:10.1177/0020764013491741

Knutson, M.; Wood, N.; Spampinato, V.; & Grafman, J. (2006). Politics on the brain: An fMRI investigation. *Social Neuroscience, 1 (1),* 25–40.

https://doi.org/10.1080/17470910600670603

Krosnick, A.; & McGraw, M. (2002). Psychological political science versus political psychology true to its name: A plea for balance. *Political psychology*, 79-94.

Krosnick, A.; Visser, S.; & Harder, J. (2010). The psychological underpinnings of political behavior. In S. T. Fiske, D. T. Gilbert, & G. Lindzey (Eds.), *Handbook of social psychology* (5th ed., pp. 1288–1342). John Wiley & Sons, Inc..

https://doi.org/10.1002/9780470561119.socpsy002034

Lane, E. (1959). *Political Life: Why People Get Involved in Politics*. Free Press of Glencoe.

Leong, C., & Howlett, M. (2022). Theorizing the behavioral state: Resolving the theory-practice paradox of policy sciences. *Public Policy and Administration, 37 (2),* 203-225. https://doi.org/10.1177/0952076720977588

Lieberman, D.; Schreiber, D.; & Ochsner, N. (2003). Is political cognition like riding a bicycle? How cognitive neuroscience can inform research on political thinking. *Political Psychology, 24 (4),* 681-704.

McGuire, J. (2004). The poly-psy relationship: Three phases of a long affair. In *Political psychology* , 22-32, Psychology Press.

Newell, A. & Simon, A. (1972). *Human problem solving. Englewood Cliffs*. NJ: Prentice-Hall

Omweri, S. (2024). The intersection of Maslow's theory and African public policy implementation: Insights and perspectives. *International Journal of Multidisciplinary Research Updates, 8,* 28-047. 10.53430/ijmru.2024.8.1.0044.

Oyserman, D. (2015). *Pathways to success through identity-based motivation*. Oxford University Press, USA.

Saucier, G. & Goldberg, R. (1998). What is beyond the Big Five? *Journal of Personality, 66,* 495–524.

Sears, O.; Huddy, L.; Jervis, R. (eds.). (2003). *Oxford Handbook of Political Psychology*. Oxford University Press, New York. ISBN 9780199729340. OCLC 50404137

Simon, A. (1985). Human Nature in Politics: The Dialogue of Psychology with Political Science", *The American Political Science Review, 79 (2),* 293-304.

Stone, S.; Johnson, M.; Beall, E.; Meindl, P.; Smith, B. & Graham, J. (2014), Political psychology. *WIREs Cogn Sci, 5,* 373-385. https://doi.org/10.1002/wcs.1293

Vecchione, M.; & Caprara, V. (2009). Personality determinants of political participation: The contribution of traits and self-efficacy beliefs. *Personality and individual differences, 46 (4),* 487-492

Volz, S.; & Masicampo, J. (2021). Self-regulatory processes and personality. In *The handbook of personality dynamics and processes*, 345-363. Academic Press.